هناء

تأخذ قرارها الحاسم

الكاتب: موفق عارف لهوني

تصميم: روزا زانا

SEED Girls

هناء
تأخذ قرارها الحاسم

(قصة لليافعات)

٢٠٢٤

الكاتب: موفق عارف لهوني
تصميم: روزا زانا

تمت كتابة هذا الكتاب من قبل مؤسسة سييد و تضل ملكية الفكرية لها ولا يجوز طباعتها او استنساخها أو ترجمتها أو نشرها كليا أو جزئيا إلا بإذنٍ صريح من مؤسسة سييد.

إسم الكتاب: هناء تأخذ قرارها الحاسم
الكاتب: موفق عارف لهوني
الموضوع: قصة لليافعات
تصميم: روزا زانا
الطبعة: الأولى
رقم الإيداع: ١٧٥
العدد: ٧٠٠
ملاحظة: هذا الكتاب ليس للبيع.

"هناء" جالسة في إحدى زوايا ساحة المدرسة، منطوية على نفسها بوجه عابس وتشعر بالملل والوحدة. متجاهلة المدرسة والدروس والعام الدراسي الجديد الذي بدأ لتوه. زميلاتها في الصف وبقية الطالبات مشغولات باللعب والرياضة والتحدث في الساحة. هناء هادئة للغاية وغير مبالية بما يدور حولها. في العام الدراسي الماضي، لم تكن مهتمة بالدراسة والمذاكرة وكانت منشغلةً جداً بالألعاب الإلكترونية والدردشة على وسائل التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى إخفاقها في الامتحانات وبقائها في الصف الدراسي نفسه، وقد أخفت هذا الأمر عن أهلها وأخبرتهم بأنها نجحت وانتقلت الى الصف الثالث المتوسط.

بسبب انشغال والدتها المستمر بالأعمال المنزلية اليومية والاهتمام الدائم بابنها من ذوي الاحتياجات الخاصة، وعمل والدها المستمر مهندسا في إحدى شركات الإسكان والإعمار من أجل تأمين معيشة الأسرة، لم يكن باستطاعة الوالدين تخصيص وقت كافٍ للاهتمام بابنتهم. فاستغلت هناء هذا الفراغ لإلهاء نفسها بالألعاب الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي، بدلاً من الاجتهاد في الدراسة والتركيز في واجباتها المدرسية اليومية. تدريجيا بدأت تدفع ثمن إهمالها الدراسة. حتى أصبحت مثل لوح عائم، تحملها أمواج أفكارها كيفما شاءت، دون إرادتها ودون أن تتمكن من جمع شتاتها وتحديد هدف لنفسها، والآن هي غارقة في دوامة الشك والقلق.

يدق الجرس، ويتوجه الطلاب تدريجيًا إلى صفوفهم الدراسية؛ أما هناء فما تزال يائسة ومستسلمة لمصير مجهول. تراجعت قوتها وأصبحت محطمة ومستاءة للغاية. "هالة وميس" هما زميلتان جديدتان لها في الصف الدراسي، تقتربان منها بهدوء، وتحاولان إقناعها بالذهاب إلى الصف معهما وأن تنهي هذه العزلة و تتوقف عن محاسبة نفسها على الدوام ومعاتبتها. لكن دون جدوى، إذ أخذت بتوبيخهما، وأصرت على البقاء وحيدة. لكنهما لم تستسلما لكلامها وكانتا مصرتان على تشجيعها وإقناعها بالعودة إلى الفصل وإنهاء هذه العزلة. فقالت هالة: "حتى لو أخطأ الإنسان أو أخفق لأي سبب كان، لا ينبغي له أن ينهار أو يسأم من الحياة، بل من الأفضل أن يتخذ منها عبرة ثم يسير قدما في حياته". انزعجت هناء كثيراً من نصائحهما المتكررة، ولولا أنهما أصبحتا صديقتيها للتو، لضحكت وسخرت منهما ومن كلامهما. لكنها تمالكت نفسها وتوسلت إليهما أن تدعاها وشأنها. شعرت ميس بأن هناء منهارة نفسيا وطلبت إليها أن تهتم بنفسها، وأن تنسى مشكلات حياتها، وألا تفقد الأمل وأن تبدأ من جديد. ميس وهالة، صديقتان مخلصتان ووفيتان و شعورهما بالمسؤولية دفعهما إلى الاستمرار في مواساتها وتشجيعها على التخلي عن هذه العادة السيئة. لكن هناء في النهاية خيبت أملهما وقالت لهما: لماذا لا تتركاني وشأني؟ لا شأن لكما فيما أفعله أو ما لا أفعله. فتركتاها وتوجهتا الى الصف بقلب حزين، وفي الطريق قررتا مناقشة الأمر ، إما مع قدوة الصف أو مع المرشدة "ست سارة"، قبل فوات الأوان.

وبعد ذهابهما، تسللت هناء هاربة من الباب الخلفي للمدرسة، حتى لا تراها المديرة أو إحدى المدرسات. ذهبت هناء إلى إحدى المقاهي القريبة من المدرسة، حيث التقت بصديقتها "ريم" وهي جالسة بصحبة شاب، يتحدثان ويشربان القهوة. قالت ريم بتكبر معاتبةً هناء: "لماذا تأخرت؟ لقد أنتظرتك طويلاً". أجابت هناء قائلة: حضرت الدرس الأول وكان مملاً جداً، لذلك شغلت نفسي في الاستراحة ولم أحضر الدرس الثاني، ولكنني واجهت صعوبة في الإستراحة الثانية؛ إذ "ظهرتْ معلمتان ولم تتركاني وشأني"... تتحدث هناء ساخرة، فاستغربت ريم ولم تفهم قصدها، فأوضحت هناء لريم أن اثنتين من زميلاتها حاولتا كثيراً إقناعها بالذهاب معهما إلى الصف، لكنها رفضت، بل وسئمت منهما، فهربت من المدرسة وجاءت لملاقاتها. فرحت ريم بفعل هناء وقالت مبتسمةً: "مرحباً بك في صفوف المتهربين ، هذا صديقي "ليث". هناء لا تصادق الفتيان، لذا تفاجأت كثيراً بأن ريم تجلس مع صديقها الشاب بكل هذه الجرأة. وعلمت لاحقاً أن هذا الشاب ليس من المعارف أو الأقارب، بل تعرفت ريم عليه عبر شبكات التواصل الاجتماعي. على الرغم من خوفها وقلقها، إلا أنها لم تظهر ذلك وانظمت إلى أحاديثهم. بعد مدة وجيزة أدركت هناء من سلوكه وتصرفاته، أن هذا الشاب مغرور ومخادع، وبدأت تشعر بقلق شديد. لقد كانت مستاءة جداً من غروره، لذلك لم تشاركهما في الطعام؛، متحججة بتأخر الوقت وأن عليها شراء بعض الفاكهة والحاجات التي طلبتها والدتها، اعتذرت وتوجهت نحو المنزل.

لقد كان يوماً عصيباً على هناء. فهي في حزن عميق، و سلوك ريم غير اللائق وغرور ليث جعلها أكثر حزناً. تخيلت العديد من التفسيرات: كيف تثق ريم بهذا الولد المغرور بتلك السرعة، وهو أكبر منها بسنوات؟ كيف تواعده دون موافقة أهلها؟! هذه الأمور والعديد من الأسئلة الأخرى زادت من تعبها النفسي.

عندما عادت هناء إلى المنزل، كان والدها وأختها وشقيقها الأصغر يجلسون حول المائدة. خرجت والدتها من المطبخ وهي تحمل قِدر الطعام ودعتهم لتناول الوجبة. جلست هناء على المائدة بعد أن غسلت يديها وقالت باستياء: "برياني مجدداً؟" دعتهم والدتها بلطف لكي يبدؤوا الأكل، و وعلى الرغم من أن هناء تحب أكلات المطاعم (الاكلات السريعة)، أخذت في تناول الطعام مضطرة.

شعر الوالد بحزن ابنته، لكنه ظن أن السبب وراء ذلك هو تأثير العام الدراسي الجديد وسيستغرق بعض الوقت للتعود عليه.
فجأة طرق الباب، لتذهبت أختها الصغرى لتفتحه ، ثم عادت مسرعة، قالت: "داده هناء"، صديقتاك على الباب. فهمت والدتها بالذهاب للترحيب بهما. فقالت هناء لوالدتها: لا تتعبي نفسك يا أماه، أنا سأذهب وأرحب بصديقتي، وعندما رأت هناء صديقتيها هالة وميس على الباب، ارتبكت. وزاد ارتباكها بعد أن علمت أنهما تحدثتا الى المرشدة "ست سارة" بشأنها وهي التي طلبت إليهما القدوم إلى منزلها للتحدث مع والدتها ومعرفة ظروفها وسبب غيابها عن المدرسة؟ قاطعتهما هناء وهي مرتبكة وقالت: صحيح، أنا عدت مسرعة إلى البيت؛ لأن خالتي نفساء (تمر بمرحلة النفاس)، لذا من الواجب أن اقدم لها المساعدة لبضعة أيام؛ لأن والدتي تعاني آلاما في الظهر؛ ولأنها مشغولة بالاعتناء بأخي المريض. عندئذ، باركتا هالة وميس لها ولادة المولود وتمنتا الشفاء العاجل لوالدتها وطلبتا إليها ألا تنقطع عن الدراسة وألا تترد في طلب المساعدة منهما. شكرتهما هناء كثيرا وودعتهما، ثم عادت لترى والدتها مشوغلة بجمع الأطباق وتوضيب المائدة ؛ فيما كان والدها يهم بالعودة الى العمل. ولكي تتفادى الأسئلة المفاجئة، بادرت قائلة: " إنهما زميلتاي، تعرفت إليهما للتو وقد أتيتا للحي حديثاً، طلبتا إلي أن أشاركهما حافلة توصيل طلاب المدرسة ولكني رفضت وقلت بأن المدرسة ليست بعيدة وأنا أذهب وأعود مشياً". رد الوالد مسرعاً "كلا يا ابنتي"، لكي لا تتعبي سأوفر لك سيارة أجرة أو أطلب إلى سائقي أن يوصلك للمدرسة ذهاباً وإياباً". وعلى الرغم من أن هناء لم يعجبها هذا القرار، فضلت الصمت....

وفي المساء، كان والد هناء جالساً على إحدى الأرائك، يشرب الشاي ويشاهد مسلسلاً ويبتسم بين حين وآخر. وكانت والدتها تسكب الشاي وهي منشغلة أيضاً بتناول المكسرات ومشاهدة المسلسل. كان أخواها مهتمين بمراجعة واجباتهم المدرسية والمولود الجديد يناغي في مهده. هناء كانت جالسة في زاوية، منشغلة بتبادل الرسائل مع ريم وأصدقائها وطلبت إلى ريم أن تخبرها عن صديقها ليث. قالت ريم: صحيح أنه مغرور قليلاً، لكنه فتى طيب وهو صديق جيد و وفي، ثم شجعت هناء وقالت لها بأنها لم تعد طفلة وتستطيع مصاحبة الشبان. لكن هناء رفضت بتخوف شديد وقالت لريم بأنها لا تفكر في هذا الأمر إطلاقاً. ولكي لا تضغط ريم على هناء كثيراً، اقترحت بأن تذهبا معاً إلى مكان ما غداً بعد الظهر لقضاء بعض الوقت والتسلية. هناء رفضت العرض وقالت بأنها لا تستطيع الخروج بعد الظهر، لعدم وجود أي عذر للخروج، لذا اتفقتا على الخروج قبل الظهر، كي يظن الأهل بأنهما في المدرسة. تتحدث هناء مع والدها بلطف وهدوء وتقول "يا أبي العزيز، لقد أبلغت في مجموعة الصف للتو، بأننا سنذهب في رحلة علمية إلى المتحف غداً، وقد قالت مرشدة الصف بأننا نستطيع ارتداء ملابس غير الزي المدرسي. لكن والدتها شكت في كلامها وقالت: "لقد بدأ العام الدراسي للتو، ماذا تقصدين بسفرة علمية؟ وما سبب عدم إرتداء الزي المدرسي؟". أما الوالد فقد وافق على طلب هناء وأعطاها بعض المال وقال لها استمتعي بوقتك واعتني بنفسك يا ابنتي العزيزة. أخذت هناء المال بفرح ثم قبلت والدها وقالت: "أنت الاغلى في حياتي يا أبي العزيز".

بعد ذهاب الأولاد إلى الفراش، قالت والدة هناء لزوجها معاتبة "عليك أن تعلم بأن هناء لم تعد طفلة ويجب علينا أن نكون أكثر حرصاً عليها وأكثر دعماً لها وأن لا نعطيها من الدلال أكثر مما يجب". رد الوالد مبتسماً "الأطفال بغض النظر عن أعمارهم، فهم دائماً بحاجة الى عطف ودلال الوالدين". لكن والدة هناء قاطعت زوجها وقالت: "نعم صحيح ولكنها في سن حرج، وتحتاج الى إرشاد ورعاية صارمة من قبلنا، أشعر بأننا قد أهملناها الى حد ما". فطمأنها زوجها قائلا "لقد حرمنا من أشياء كثيرة عندما كنا في مثل عمرها، لندعهم يستمتعوا بحياتهم قليلاً، و الثقة ضرورية أيضاً بالنسبة لهم لكي تتكون شخصيتهم"... غافلين عن سلوك وتصرفات هناء غير اللائقة...

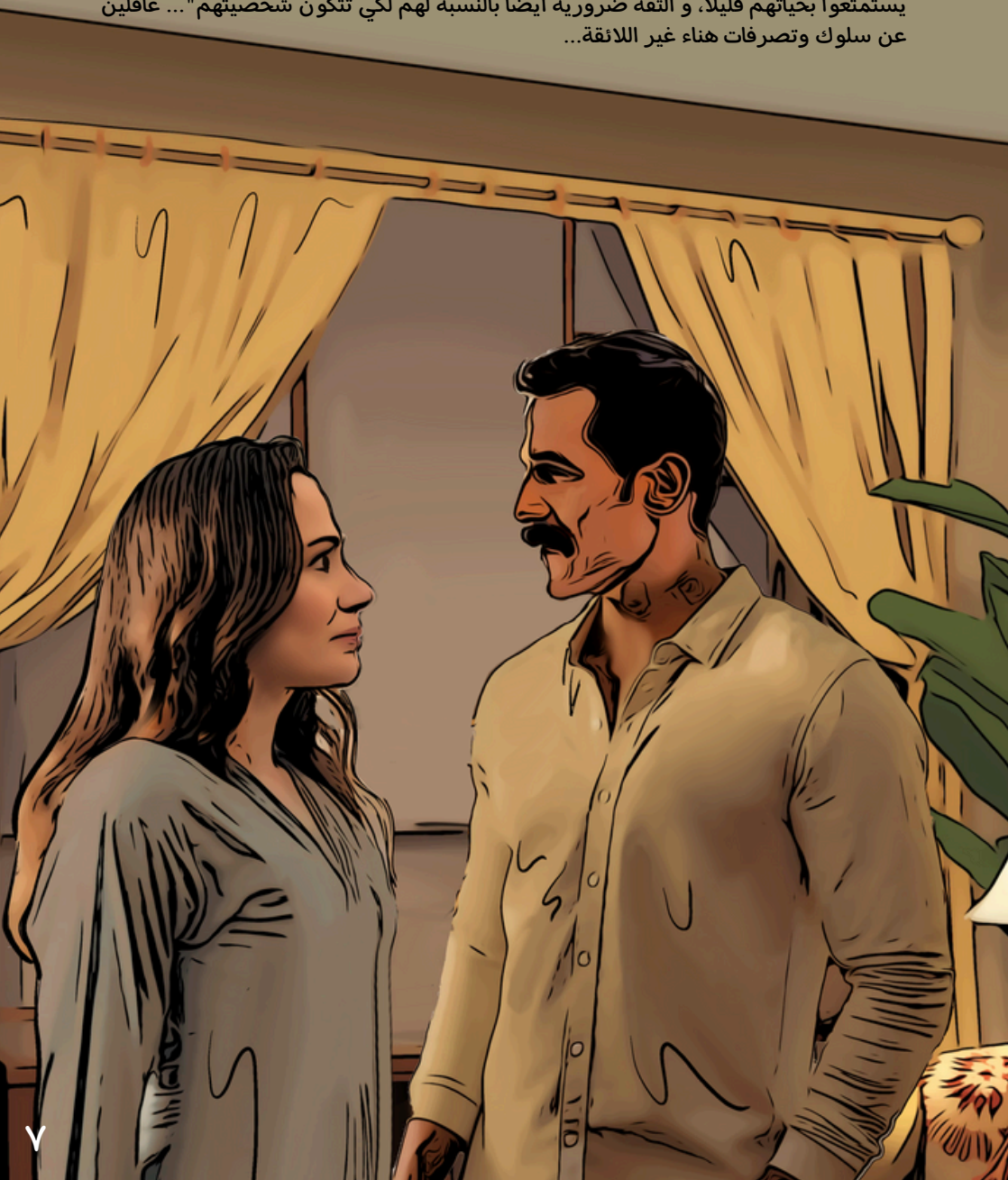

أعدت مدرسة مادة العلوم، قامت بعض وسائل الشرح وأدوات التدريس الجديدة في المختبر وتسجيل الغيابات. فأخبرت قدوة الصف المدرسة بأن فاطمة قد أخذت إجازة مرضية، أما هناء فهي غائبة. إحدى الطالبات قالت ساخرة بأن هناء تأتي الى المدرسة كيفما شاءت. طالبة أخرى قالت: "ربما لم تستيقظ من النوم بعد". سخرية الطالبات دفعت ميس لكي ترد، وقالت "كلا ليس صحيحاً، لماذا تتحدثون بغير علم". توجهت ميس الى المدرسة و أخبرتها بصوت منخفض، "مدرستنا العزيزة، أنا وهالة زرنا هناء في منزلها، خالتها في بيتهم، وقد أنجبت مؤخراً. لذا فهي مضطرة إلى البقاء في المنزل وذلك لمساعدة والدتها لبضعة أيام". شكرتهما المدرسة وقالت "من الأفضل أن يأتي ولي أمرها ويقدم لها إجازة بدل غيابها". ثم بدأت بشرح موضوع الدرس مستخدمة الأدوات العلمية الحديثة وتحدثت أيضاً عن الفوائد العديدة للتكنولوجيا والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، إذا ما استعملت بصورة صحيحة، فهي ستسهل الحياة والعلم والتعليم كثيراً.

بعد انتهاء الدرس، ذهبت كل من (هالة وميس) إلى مكتب مديرة المدرسة لشرح وضع هناء في المنزل وطلب إجازة لها. لكن المديرة رفضت طلبهما وقالت "أنتما طالبتان مجتهدتان ووفيتان ومحل ثقة، لكن هناء طالبة ايضاً ويجب أن تركز في دراستها. ولكي اوافق على طلب الإجازة، يجب أن يحضر أحد أفراد أسرتها، شكراً لاهتمامكما بصديقتكما". فقررتا أن تخبران والدة هناء بهذا؛ لكي لا تضيع عليها فرصة متابعة دروسها من الآن فصاعداً.

لم تذهب هناء في ذلك اليوم إلى المدرسة؛ إذ كانت على موعد مع ريم التي كانت مشغولة بالحديث مع أصدقائها في إحدى المقاهي، ولكنها على الرغم من ذلك توجهت نحوهم بتردد، فتنبه ريم وليث لقدومها ورحبا بها بحفاوة، ثم قدماها إلى الأصدقاء الآخرين. فجلست إلى جانب شاب اسمه خالد، ولكنها لم تشعر بارتياح، فأخذت تنظر الى الفتيان والفتيات بوجل، لقد كان بعضهم يدخنون السجائر والشيشة ويتحدثون معاً بحرية تامة. فيما كان الآخرون يتبادلون الرسائل الالكترونية ومشاهدة التسجيلات المصورة (الفيديوهات). شعرت بإنها لا تنتمي الى هذا المجتمع، فهي غير مطمئنة معهم، وتشعر بأنها كما لو كانت جالسة على الشوك. وفي أثناء تفكيرها هذا يأيتها صوت فجأة قائلا لها: "ما بالك، لم أنت منعزلة وصامتة إلى هذه الدرجة، لا داعي للخجل، أنت الآن واحدة منا وأصبحت صديقة عزيزة علينا". كان هذا صوت خالد الذي جلست قربه، فشعرت بالارتياح قليلا حينما سمعت كلامه هذا، وهدأت ، ثم ردت عليه: " شكراً جزيلاً أخي"، فرد خالد مبتسماً "ولم لا نكون أصدقاء؟!" فتدخلت ريم بسرعة مشيرة إلى جمال الصداقة و قيمتها، و أنهم جميعا أصدقاء مخلصون وجديرون بالثقة ولا ينبغي أن تخاف منهم. انتهز خالد الفرصة، مستخدما بعض الكلمات الجذابة والخداعة للتقرب من هناء والحصول على رقمها وحساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي. ومع ذلك، اعتذرت هناء عن ذلك والتزمت الصمت، ولكنها أدركت بأنه لن يتركها في حالها فشعرت بانزعاج كبير وقررت أن تغير مكان جلوسها لتجلس في مقعد إلى جوار ريم ثم قالت بغضب "من هذا المزعج القليل الأدب؟ أخبرتني بأننا سنذهب إلى مكان هادئ، هل هذا هو المكان الهادئ؟".

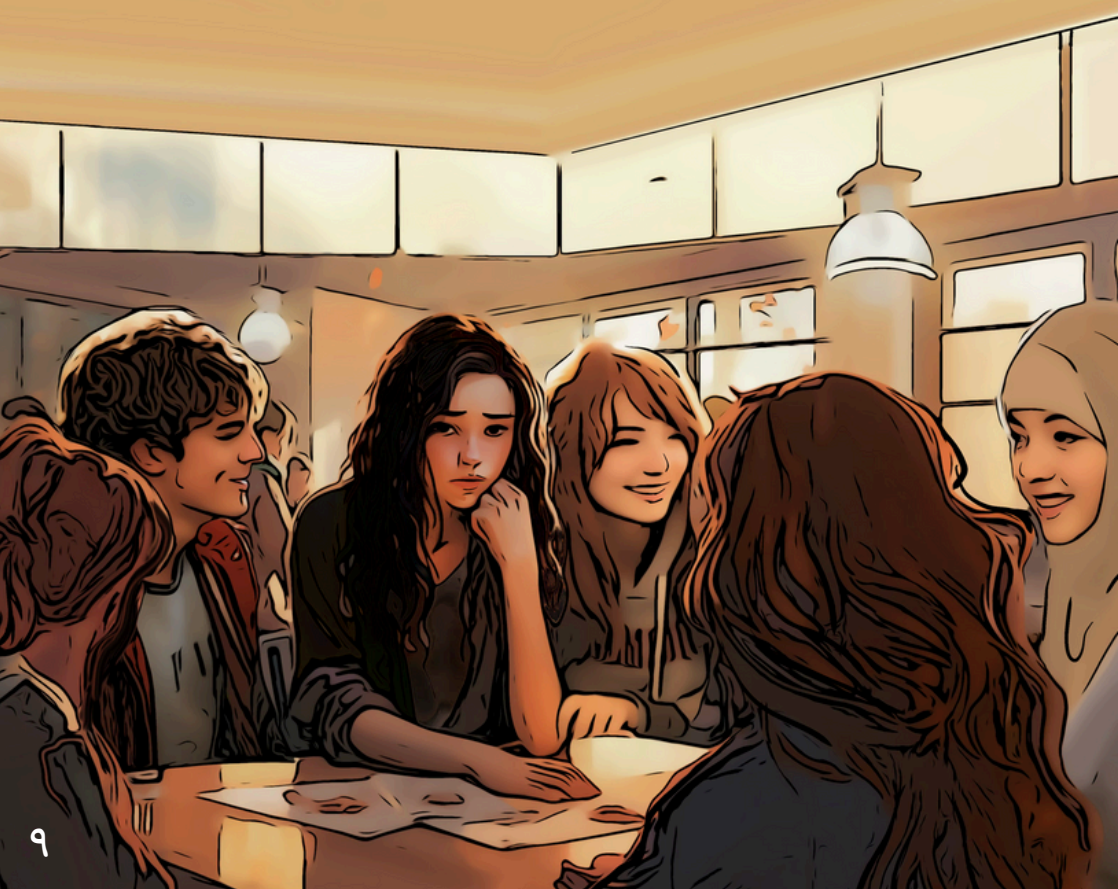

حاولت ريم تهدئتها ووعدتها بأنهم ابعد قليل سوف تذهبان إلى المتنزه القريب وتأخذان قسطاً من الراحة. وبحجة أن هناء متوعكة قليلاً اعتذرتا من المجموعة وغادرتا المقهى.
في الطريق إلى المتنزه، أخبرت هناء ريم بأن هؤلاء الفتيان مشاكسون ومزعجون وأنهم لن يتوافقوا مع العادات والتقاليد للمجتمع الذي تنتميان إليه، وأن ابتعادهما منهم أفضل لهما. لكن ريم كان لها رأي آخر، فهي ترى أن الأمر طبيعي جداً، وقالت بأنها تثق بليث كثيراً وأنها حينما تتعرف إلى خالد بصورة أفضل، سيتغير رأيها عنه حتما، فهو صديق مقرب من ليث، ولو لم يكن شخصاً جيداً، لما عرّفه ليث عليهما. وظلتا تتجادلان طوال سيرهما في الطريق وفي جولتهما في المتنزه حتى وقت الظهيرة، من دون أن تتمكن أيٌ منهما من تغيير رأي الأخرى.

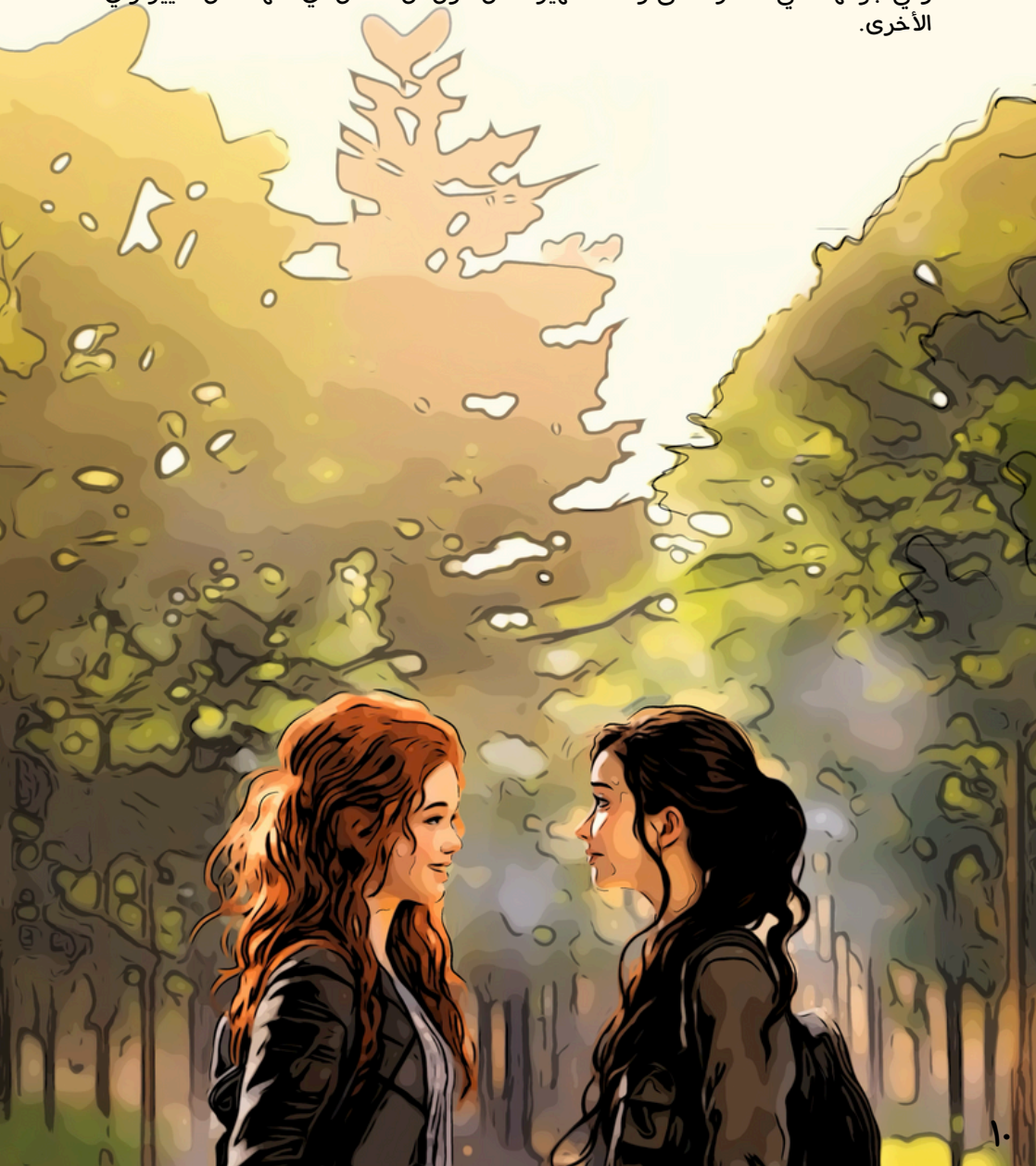

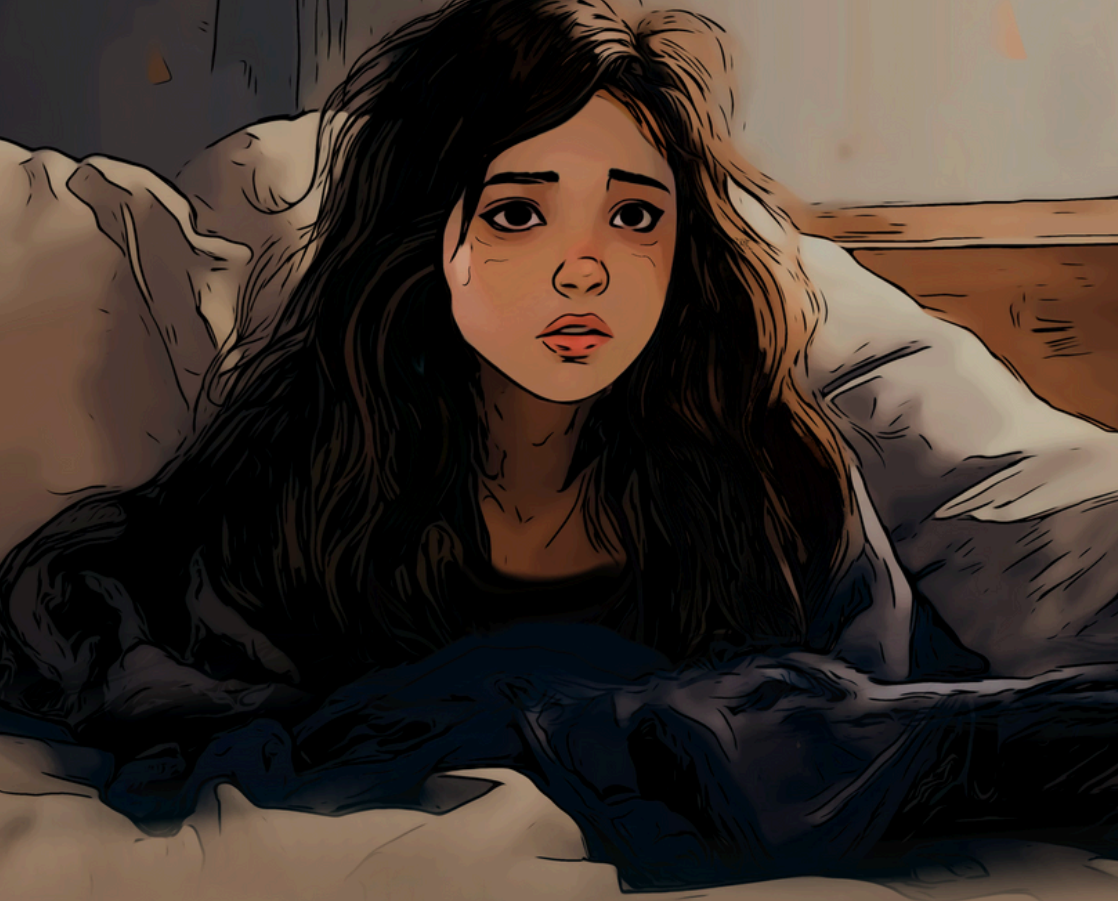

كانت والدة هناء في وقت إجازة الأمومة، تقوم بالأعمال المنزلية وتهتم برعاية ابنها من ذوي الاحتياجات الخاصة. ولكنها على الرغم من ذلك، كانت تجد وقتًا لنفسها للاستمتاع بالقراءة والعناية بالحديقة والزهور. مثل جميع الأمهات، فقد كانت لديها أمنيات كبيرة من أجل نجاح أطفالها وسعادتهم في مستقبل واعد مزهر... فيما لم يكن لدى والد هناء سوى وقت قصير لتناول الغداء، لذلك فقد كانت والدة هناء كل يوم وجبة غداء شهية وتنتظر عودتهم جميعاً.

عادت هناء إلى المنزل قبل الجميع، ألقت التحية على والدتها وهي في حال نفسية يرثى لها. طلبت إليها والدتها أن تساعدها في إعداد المائدة بعد تغيير ملابسها، لكنها اعتذرت بحجة أنها منهكة وتحتاج إلى قسط من الراحة فضلا عن أنها لاتشتهي شيئاً. إذ قالت لوالدتها " أمي العزيزة، لا تنتظروني على الغداء، متى ما جعت سأهتم بأمري". ثم ذهبت الى فراشها وتمددت، لتغرق في بحر خيالاتها، كانت حزينة وتعيسة جداً، ظلت تعاتب نفسها قائلة: "ماذا أصابني وماذا علي أن أفعل!؟ أنا على وشك الانجراف في بحر الأخطاء والأكاذيب، كان من المفروض أن أعود إلى المنزل مباشرة بعد المدرسة، بدلاً من قضاء الوقت في اللهو والاستمتاع. لقد أهدرت سنة دراسية كاملة بسبب تجاهلي وتأثير أصدقائي السيئين، ما الخيارات المتاحة لي؟"

وعلى الرغم من تأنيب الضمير الذي كانت تشعر به لم تنجح في تهدئة نفسها، ولم تستطع اتخاذ قرار بسبب الضغوط النفسية التي تعانيها.

قرب وقت المغرب وقبل عودة والدها من العمل، كانت والدتها وإخوتها جالسين في حديقة المنزل، خرجت هناء من غرفة نومها، جلست على الأريكة في غرفة المعيشة وهي شاحبة، ممسكة بهاتفها الخلوي. رأت عدداً من الرسائل النصية وكان معظمها من صديقتها ريم، تسألها عن أحوالها، وتعاتبها على عدم الرد بعد كل هذا الوقت. ردت هناء قائلة "أعتذر عن عدم الرد، صدقيني منذ أن عدت الى المنزل وأنا متعبة جداً و لا أشعر أنني بخير، وأخبرتها بأنها لا تستطيع التواصل مع المجموعة هذا المساء، لأنها تعاني صداعا شديدا وعليها أن ترتاح قليلاً". لكن ريم رفضت أعذارها وقالت "مستحيل، لأن خالدا يريد أن يطمئن عليك ويسأل عن أحوالك". ردت هناء على ريم غاضبة، وقالت "لا أسمح لك بأن تعطي رقم هاتفي وحسابي الشخصي لأي شخص كان، وإلا فلن أكلمك مرة أخرى". و في تلك الأثناء دخلت والدة هناء وبعد الاطمئنان عليها، قالت

أريني الصور التي التقطيها اليوم في المتحف". فارتبكت هناء قليلاً، ولكنها أخبرت والدتها انها لم تلتقط أي صور بحجة أن موظفي المتحف لم يسمحوا للطلاب بالتقاط الصور، فتهربت من طلب والدتها بكذبة جيدة، وأخفت هاتفها الخلوي وتوجهت نحو المطبخ، مدعية أنها تتضور جوعاً. حتى في أثناء الأكل، كانت على وشك أن تفقد السيطرة على نفسها وتنهار تماماً من شدة خيالاتها المتشعبة. وفي قرارة نفسها كانت تقول "إذا بقيت على هذه الحال، يجب علي أن أجد كذبة جديدة كل يوم لكي أستطيع مصاحبة ريم وأصدقائها المزعجين وإلا فسوف أتورط في المشاكل أكثر، وأرتكب أخطاء أكثر فظاعة. وعندئذ، كيف أستطيع مواجهة أمي وأبي و تجنب العواقب الوخيمة لتصرفاتي وأفعالي غير اللائقة بعد فوات الأوان؟. كلا، هذا يكفي، علي أن أراجع نفسي، وأن أتخذ القرار الصحيح، على الرغم من أن القرار سيكون صعباً للغاية، وسيتطلب الشجاعة والجرأة، لكن في نهاية المطاف سأنعم براحة البال وأثق بنفسي مجدداً". شعرت بقلق وحزن عميق...

والد هناء، مهندس نشيط ومخلص في عمله وهو يشرف على عدد من مشاريع البناء في إحدى شركات الإعمار والإسكان الحديثة. رجل محبوب من جميع زملائه في الشركة؛ لأنه شخص هادئ ومحترم، عفوي ومتفانٍ في عمله. كان اليوم مثل بقية الأيام، إذ أنجز مهماته اليومية.

بالمقابل، كانت هناء ترتدي زيها المدرسي وتجلس وحيدة على كرسي في المتنزه القريب من مدرستها. تشعر بالحزن الشديد والقلق. لقد كذبت على والدتها مرة أخرى وجعلتها تظن أنها ذاهبة إلى المدرسة، هناء اعتادت منذ فمدةترة طويلة على الجلوس بمفردها والابتعاد من الآخرين. لكنها أدركت أخيرًا أنها بحاجة إلى استشارة خبير أو طبيب نفسي لمساعدتها في التغلب على هذه الحالة الصعبة والاضطراب النفسي الذي تعانيه. لكنها سرعان ما تشعر بالندم، وهي تقول لنفسها "كلا، كلا، فأنا لست مريضة، إنها أزمة مؤقتة وسوف تمر". كانت تفضل ألا يعرف أحد بمشكلاتها، إذ عليها أن تكون قوية حتى تتغلب بنفسها على مشكلاتها هذه وهمومها، لكنها لا تعرف كيف تتصرف وماذا عليها أن تفعل. أنها تصارع نفسها، ما الذي ينبغي فعله؟ تعود إلى المدرسة وتبدأ الدراسة من جديد وتجتهد في دروسها لكي تنجح وأن لا تضيع مستقبلها وتفقد ثقة والديها الحنونين؟ أم تستمر على هذا الحال و تستسلم للقدر؟!

"حلويات لذيذة"... ينادي بائع الحلويات المتجول، وهو رجل مسن يدفع عربة لبيع الحلويات. هناء تشتري بعض الحلويات منه. فيقول لها البائع العجوز، "بالهناء والشفاء يا إبنتي العزيزة، ولكن لماذا لم تذهبي إلى المدرسة؟ هناء ترد بكذبة جديدة وتقول "إنها تنتظر والدتها لتذهب معها إلى السوق لشراء اللوازم المدرسية". فرح بائع الحلويات بهذا الرد وقال لها "من هذا العمل أوفر لقمة عيش أسرتي يوماً بيوم، حتى يتمكن أبنائي وبناتي من مواصلة تعليمهم". ثم تمنى لها التوفيق وواصل عمله. لكن كلمات الرجل المسن العذبة أثرت كثيراً في نفس هناء وهدات بالها المشغول. فقررت أن تواجه مشكلاتها وكل العقبات التي تقف في طريقها بنفسها، وستخبر والديها عند عودتها الى المنزل بكل شئ وتصارحهما بالحقيقة، ومن الغد فصاعداً، ستواصل دراستها بقلب مفعم بالأمل وشخصية جديدة مختلفة عما سبق. ثم تنزهت وهي تأكل الحلوى وبعد ذلك توجهت نحو السوق.

انتصف النهار وما زالت ريم في الفراش نائمة وفي يدها هاتفها الخلوي. لقد أخبرت أسرتها بأن مدرستهم قيد التعمير وأن الدراسة لم تبدأ بعد. قالت ريم لنفسها: "أرغب فقط في معرفة سبب عدم وجود هذه الفتاة الجبانة على الخط منذ الأمس؟ ولماذا لا ترد على رسائلي؟ على الرغم من محاولاتي المتكررة للتواصل، هاتفها المحمول مغلق ولا تجيبني؟" كانت ريم غارقة في تبادل الرسائل الإلكترونية وإرسال صورها الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي. فيما كانت والدتها منشغلة في المطبخ وهي تنادي عليها قائلة " يا ابنتي، إنها الظهيرة، إنهضي من فراشك وساعديني". تسمع صوت والدتها وهي تناديها مرارا فترسل رسالة صوتية "والدتي تناديني، انتظر، سأعود بعد قليل". ثم تنهض متكاسلة وتذهب إلى والدتها.

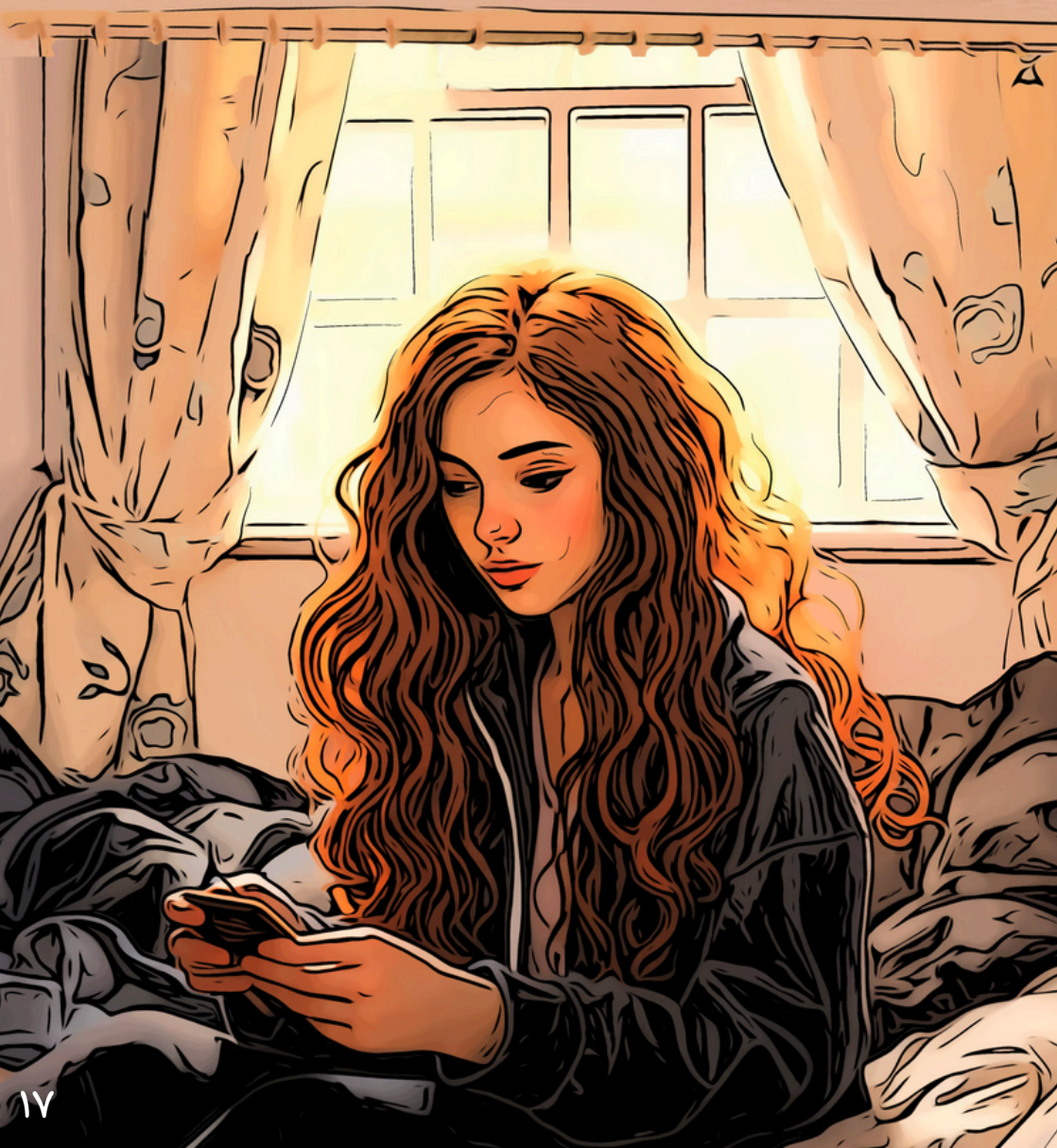

كان والد هناء يتحدث مع عامل في موقع العمل، فيما يقوم أحد العمال بتنظيف الغرف في الطابق العلوي من المبنى، ومن دون أن يلقي نظرة للأسفل، يفرغ عربة محملة بالأنقاض من الأعلى. فتنبه والد هناء بسرعة إلى أن الأنقاض ستسقط على العامل الذي يتحدث معه فيدفعه مسرعاً بعيداً لكي لا يصاب بالأذى، ولكن على الرغم من ذلك سقطت بعض قطع الأنقاض على والد هناء ففوقع أرضا وجرح في فخذيه وذراعيه، كان يصرخ من الألم، فهرع زملاؤه لمساعدته واتصلوا بفريق الإسعاف التابع للشركة. ثم نقل على الفور إلى مستشفى الطوارئ.

والدة هناء تستقبل هالة وميس بحفاوة في الفناء الأمامي للمنزل، وتخبرهما بأنه وقت الغداء والمائدة جاهزة، لكن ميس ترد بأدب قائلة"عامرة "، لا نريد أن نثاقل عليكم، وانتم لديكم ضيوف". تتفاجأ والدة هناء وتقول مستغربة لهما، ليس لدينا ضيوف ونحن بانتظار عودة هناء ووالدها. كانت الوالدة مستغربة بعض الشيء إذ إنهما وصلتا قبل عودة هناء الى المنزل. كان موقفاً غريباً، لم يفقه أي الطرفين شيئاً. تشرح هالة بهدوء سبب زيارتهما، وأبلغت ميس والدة هناء بتوصية مديرة المدرسة. فانهمرت الدموع من عيني والدة هناء ولسانها عاجز عن الكلام. قالت في قرارة نفسها، "آه يا ابنتي، كيف استطعت أن تُخفي كل هذا عنا؟ ونحن لم ندرك ذلك، تشبك أصابعها وتبكي بحرقة، من شدة حزنها. أما هالة وميس، فقد بقيتا مذهولتان وغير قادرتين على فعل شيء.

الوقت حرج، قررت هناء تصحيح أخطائها. فتحت الباب بفرح وانصدمت بهذا الموقف، لا تعرف ماذا تفعل! هل ترحب بصديقتيها؟ أم تحتضن أمها المسكينة، وتضع كلتا يديها المتعبتين على صدرها، وتصارحها بالحقيقة وتعتذر لها. كان الأمر أشبه بمشهد دراما، خيمت لحظة من الصمت على الجميع، كان كلٌ منهم يحدّق في الآخر بذهول. وفجأة رن هاتف والدة هناء ولكن الوالدة من صدمتها لم تستطع الرد، ولكي تهون الموقف بعض الشيء، أجابت هناء على الهاتف مسرعة. "نعم، والدتي مشغولة، أنا ابنتها، من المتكلم؟ ماذا؟! أي مستشفى؟! ماذا؟!..." صرخات وبكاء هناء هزت الجميع.

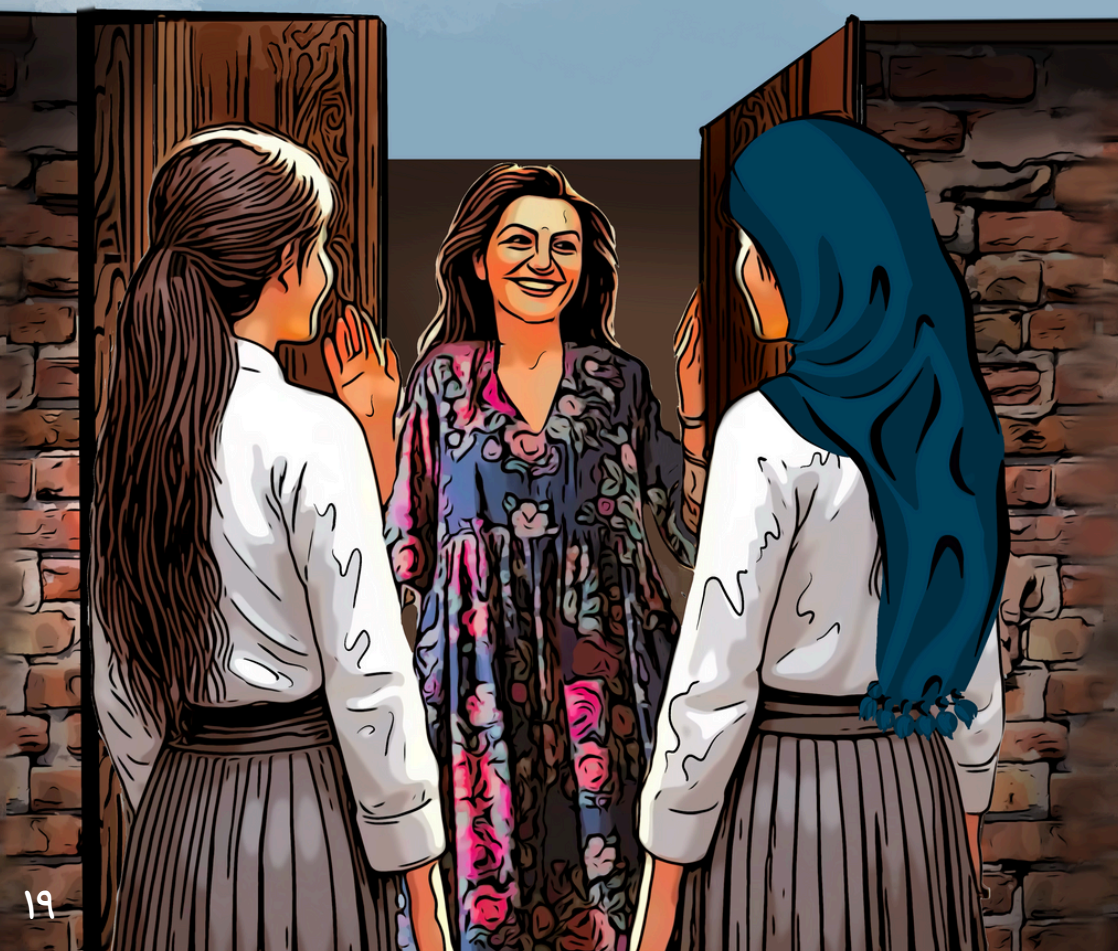

بعد وصولهم لطوارئ المستشفى، كان الأطباء والملاكات الطبية قد قاموا بواجبهم. أكد الأطباء ضرورة بقاء المهندس تحت الإشراف الطبي في المستشفى مدة من الزمن للتعافي من كسر عظم الفخذ وإصاباته، فرافقه أخوه، ولكنه لم ينم طوال تلك الليلة من شدة الألم. وفي المنزل، صارحت هناء والدتها بالحقيقة باكية وأعربت عن أسفها وندمها. فقالت الوالدة لابنتها بهدوء "أرجوك، من الآن فصاعداً لا تخفي عنا شيئاً".

قالت هناء بخجل شديد " أمي العزيزة، أنا آسفة جداً على كل شيء، ولن أكذب عليكم مرة أخرى". قامت والدتها بمواساتها وقالت "الإنسان الصادق، دوماً سعيد ومحظوظ في حياته". ثم عانقتا بعضهما بعضا والدموع تنهمر من عينيهما...

أمضت هناء ليلة تعيسة ونوماً متقطعاً، وفي الصباح ذهبت إلى المدرسة بقلب مملوء بالحزن. ودون تردد ذهبت إلى مديرة المدرسة وصارحتها بجرأة، واعتذرت لها عن كل أكاذيبها وأخطائها وهي تبكي. شرحت للمديرة وضع والدها الصحي وبعدما انتهت هناء من قول الحقيقة، أحست بالطمأنينة وراحة البال. السيدة المديرة احتضنتها بحنان الأمومة ومسحت دموعها وقالت لها "ابنتي العزيزة، كلنا بشر وكلنا نخطئ أحياناً، ولكن علينا أن نعتبر من أخطائنا مبكراً" وشكرتها على صدقها. ثم تمنت الشفاء العاجل لوالدها وطلبت إليها ألا تغيب عن المدرسة مرّة أخرى لكي لا تفوت دراستها أكثر من ذلك.

قررت هناء أن تكون صادقة من الآن فصاعداً طوال حياتها وأن تخطو الخطوات الصحيحة، ذهبت إلى الفصل بنفسية أكثر هدوءاً وبعضاً من راحة البال. شكرت زملاءها، خاصة صديقتيها هالة وميس، لأنهما كانتا نموذجاً للصديقة المخلصة والوفية. اتصلت مديرة المدرسة بوالدة هناء للسؤال والطمأنينة على صحة زوجها وترجتها ألا تحرج ابنتها أو تحاسبها على أخطائها؛ لأنها حقاً نادمة وانها قطعت وعداً على نفسها بعدم تكرار ما فعلته في السابق. وفي الجانب الآخر،

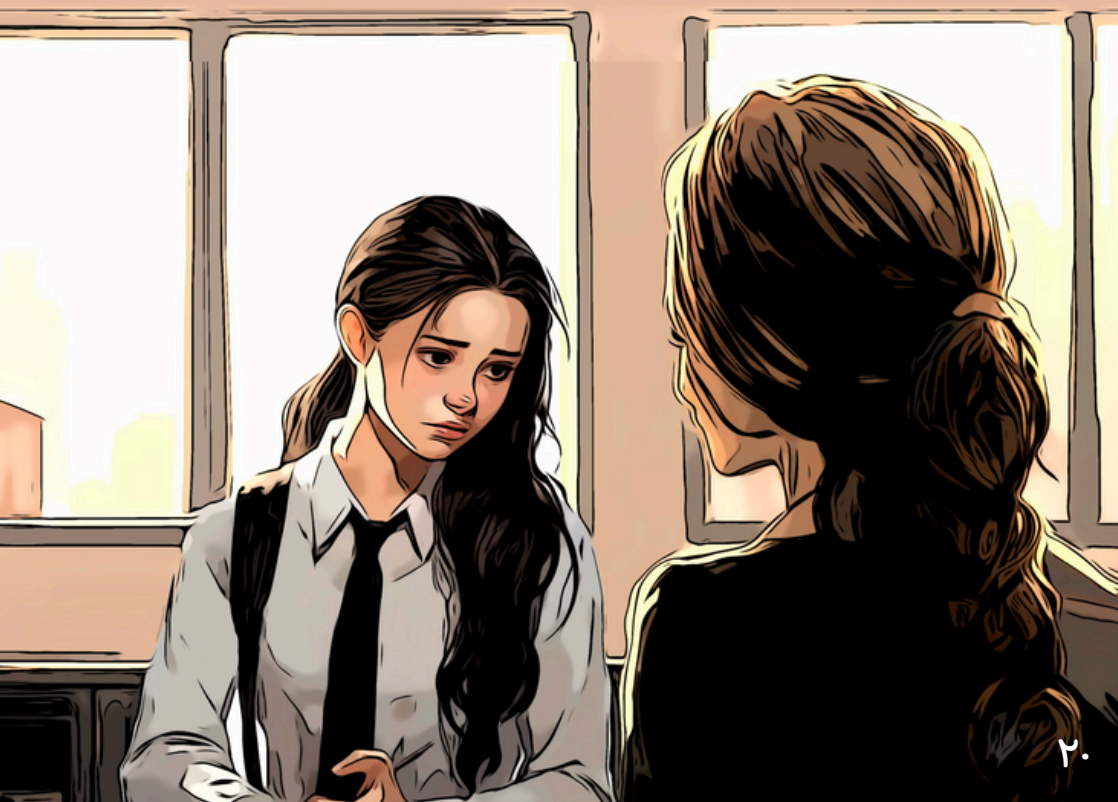

واصلت صديقتها ريم استهتارها ولم تكن على علم بالأحداث التي مرت بها هناء و تورطت أكثر في علاقاتها المشبوهة مع ليث وخالد والآخرين.
بعد مضي أسبوع، في حديقة المدرسة في الاستراحة، كانت هالة وميس تساعدان هناء في مراجعة الدروس التي فاتتها، وكانت هناء تشعر بالاستقرار والطمأنينة نفسياً، وكذلك كانت صحة والدها في تحسن مستمر. إن وجود هاتين الصديقتين الوفيتيين ومساعدة مديرة المدرسة والمدرسات الحريصات، جعلت هناء سعيدة ومطمئنة أكثر من أي وقت مضى.
وحينما انتهت الاستراحة ذهبن معاً إلى الصف، في هذا الأثناء سمعت هناء صوتا يناديها: "هناء، هناء"... كان الصوت مألوفا لها، فاستدارت لترى صديقتها ريم! التي كان يبدو عليها الحزن ، وكانت منهارة النفسية، شاحبة الوجه. عندما رأتها في هذه الحال المتردية، احتضنتها هناء وتوجهتا إلى الصف معا، تبادلتا أطراف الحديث معاتبتين بعضهما بعض، وفي أثناء الحديث، اكتشفت هناء أن ريم في ورطة كبيرة. فاتفقت معها على الذهاب الى منزلها بعد انتهاء المدرسة لتكملا حديثهما هناك.

أخبرت هناء ريم بكل ما جرى لها في الآونة الأخيرة وما حدث لوالدها وأزاحت كل ما في قلبها من عتاب ولوم تجاهها. وأعربت ريم عن حزنها وأسفها لكل ما جرى لها ولوالدها و أجهشت بالبكاء وبدأت في سرد أحزانها وقلقها لما مرت وتمر به الآن. قالت ريم باكية: بسبب ثقتي العمياء استغل ليث وأصدقاءه سذاجتي وبدأوا بتهديدي عن طريق حسابات وهمية بنشر صوري الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي، إذ قاموا بابتزازي إما بدفع مبالغ نقدية كبيرة لهم، أو القيام بأعمال مخلة معهم.

شعرت هناء بذهول كبير جراء الصدمة مما سمعته! فقال لريم: لم كنت بهذه السذاجة؟ وكيف وثقت بهؤلاء المخادعين بهذه السرعة و أرسلتِ لهم صورك الشخصية؟! ردت ريم وهي تبكي، ما العمل؟ أحياناً نرى جانباً واحداً فقط من الأمور، لقد ظننت بأنهم أوفى الأصدقاء! فردت عليها هناء بإصرار وثقة قائلة: كلا! لا يمكن أن نثق بالغرباء بكل سهولة و لاسيما أولئك الذين تعرفنا إليهم عبر قنوات التواصل الاجتماعي.

وعندما اقتربتا من المنزل، طلبت هناء من ريم أن تتماسك وتمسح دموعها، وفي المنزل تناولتا الغداء معاً وذهبتا إلى المستشفى لزيارة والد هناء. قالت هناء لريم: من الأفضل أن نتحدث مع "ست سارة" غداً، لنجد حلاً لمشكلتك؛ لأنها أكثر خبرة منا ودائماً تذكرنا وتقول: إذا واجهتن أية مشكلة، صارحنني بها بكل ثقة ومن دون تردد، وسوف أساعدكن وأدعمكن ". وعلى الرغم من أن ريم كانت غير مقتنعة بالأمر إذ لا تريد أن يطّلع أحد على أسرارها، نجحت هناء في إقناعها بأنه الحل لمثل هذه المشكلات، إذ يجب أن يكون عن طريق اللجوء لأشخاص موثوقين واستشارتهم.

طوال الليل، ظلت ريم تفكر في مشكلاتها، كانت عيناها مملوءتين بالدموع ولم تستطع أن تهدأ أو أن تنام ولو للحظة كما لو كانت في سجن، باتت كل قطع أثاث الغرفة كأشباح لها وكل خيالاتها عما حدث تنتهي بكوابيس. فإذا خضعت لابتزازهم، حينئذ يجب أن تبيع سوارها الذهبي الذي أهدته إيّاه والدتها العام الماضي، وإذا انصاعت لمطالبهم المخلة، ستكون بداية التورط في مشكلات أسوأ بكثير مما هي عليه الآن وتجلب الإهانة والتشهير لها وأشرتها، وإن لم توافق، فلن يتركوها بسلام والعواقب ستكون وخيمة. يا إلهي ماذا أفعل؟ كل هذه الأفكار السلبية طغت على عقلها إلى درجة أنها لم تكن ترى ولو بصيص أمل. ولكن ريم لم تكن تعلم أن الرب أعظم من كل المشكلات وأن لكل مشكلة حلا مناسبا.

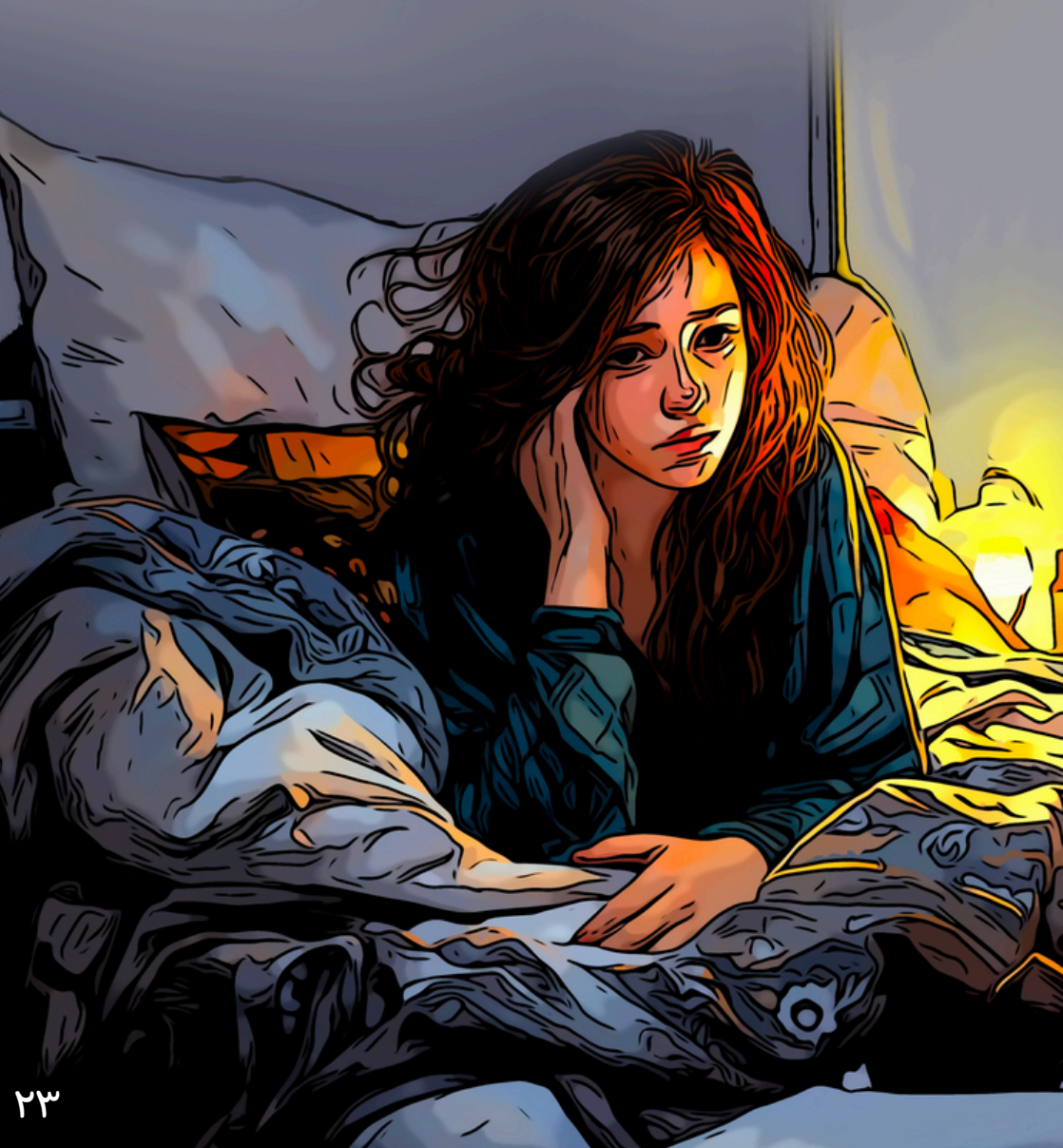

بحلول الصباح، كانت عيني ريم محمرتين من البكاء طوال الليل! وعلى الرغم من يأسها و بسبب إصرار هناء، استأذنتا من الدرس وذهبتا إلى غرفة "الست سارة" المرشدة التربوية. أخبرت ريم المرشدة التربوية بكل شيء وهي باكية وخجلة ، "ست سارة" بخبرتها وسرعة بديهيتها هدأتهما كلتيهما وطمأنتهما، إذ قالت لريم: "صحيح إنها مشكلة جدية ولكن حلها ليس مستحيل المنال، لا داعي لكل هذا الحزن والبكاء، حافظي على رباطة جأشك ولا تستسلمي لتهديداتهم، حافظي على سرية وكتمان الموضوع ولا تخبري أحداً، ثقي بنا، فنحن سنحل المشكلة من دون إلحاق اي ضرر بك". أعطتهما وعداً وعلى الفور وبمساعدة مديرة المدرسة اتخذتا الإجراءات القانونية وأرسلت بسرية تامة جميع الرسائل النصية والحسابات المشبوهة الى الجهات المختصة وهم بدورهم على الفور أجروا التحقيقات اللازمة للعثور على المشتبه بهم والمجرمين باستخدام التكنولوجيا الحديثة والمتقدمة.

مع مضي الوقت، تغيرت الكثير من الأمور، هناء لم تدر ظهرها لصديقتها ريم ولم تتخل عنها ولو للحظة... على العكس من ذلك فقد استمرت في مواساتها وتهدئتها وساعدتها في دراستها وأبعدتها من الألعاب الإلكترونية وأصدقاء السوء. كانت هناء بعد الانتهاء من واجباتها المدرسية اليومية، تساعد والدتها في الأعمال المنزلية. وكان والدها يتلقى التمارين اليومية والعلاج الطبيعي في المستشفى تحت إشراف الأطباء والمختصين وحالته الصحية تتحسن يوماً بعد يوم.

"هالة وميس" الصديقتان الوفيتان، تساندان هناء على الدوام وتتمنيان الشفاء العاجل لوالدها. وعند أداء امتحانات الفصل الدراسي الأول، كانتا تساعدان هناء و ريم كثيراً، وكن يراجعن الدروس والمواد المعقدة والصعبة معاً.

الست سارة ومديرة المدرسة معاً وفي سرية تامة وبكل إخلاص وتفانٍ وشعور بالمسؤولية، وعن طريق الجهات المختصة تابعوا خيوط شبكة المبتزين وتمنكوا من العثور عليهم وإلقاء القبض عليهم ومنعهم من إرتكاب المزيد من جرائم الابتزاز.

اليوم وبعد انتهاء أداء امتحانات الفصل الدراسي الأول، أرسلت مديرة المدرسة في طلب هناء وريم، وقبل أن تصلا إلى غرفة المديرة، خطرت لذهنهم العديد من الأسئلة، ترى ماذا فعلتا لكي تطلبهما المديرة للحضور إلى غرفتها؟ هل أخفقتا في الامتحانات، أو أن هناك شيئاً آخر؟ أو.... أو.....؟!

بعد أن طرقتا الباب طلبا للإذن، دخلتا إلى غرفة المديرة وهما قلقتان وخائفتان. ثم شعرتا بارتياح عندما وجدتا السيدة سارة في الغرفة أيضا، فقالت المديرة وهي تبتسم لهما "لا تقلقا يا بنات، تفضلا بالجلوس". شرحت لنهما المديرة الإجراءات القانونية التي اتخذت لمعرفة هوية المتهم. المتهم أسمه (ج.ع)، كان يمتلك عدة حسابات وهمية. أما خالد و ليث، فلم يكونا سوى ضحية وقد خدعهما أيضا. استجوب الشخص المبتز وحوكم ، لكن ريم لم تستطع السيطرة على نفسها وانهارت في البكاء، ثم عبرت الفتاتان عن شكرهما الكبير للمديرة والمرشدة سارة، اللتين قامتا من مكانهما وحضنتا الفتاتين بحنان ومودة.. قالت المديرة لهما بهدوء: "أنا على يقين بأنكما تعلمتما درسا من أخطائكما، وأنا واثقة بأنكما لن تكررا هذه الأخطاء مرة أخرى، ويجب أن تعرفا بأن وعد الحر دين!". وبعد ذلك شرحت مديرة المدرسة مدى أهمية وفوائد التكنولوجيا والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي إذا ما استعملت بصورة صحيحة، إذ ستسهل الحياة والعلم والتعليم كثيراً.

وبعد أن خرجت هناء وريم من مكتب المديرة، تنفستا الصعداء. ريم، كانت سعيدة إلى درجة وكأنها نجت من الغرق في بحر مخيف. لقد زال العبء الملقى على عاتقها وعانقت هناء بحرارة وهي ممتنة لما فعلته من أجلها وانهمرت دموع الفرح من عيونهما البريئة.
عادت هناء إلى المنزل والسعادة تغمرها، رأت من بعيد حشداً من الناس مجتمعين عند باب منزلها، ارتجف قلبها من الخوف وقالت "ماذا حدث؟ يا إلهي، لا تحرمني من فرحتي وسعادتي". سارعت خطواتها، توجهت نحوها أختها الصغيرة مسرعة وقالت "أختي هناء، لقد خرج أبي من المستشفى!". يالله من خبر مفرح، شكرت الرب من أعماق قلبها واحتضنت أختها الصغيرة بقوة وقبلتها. وعندما وصلت إلى باب المنزل، رحبت بحرارة بأهل الحي، الذين كانوا في استقبال والدها. دخلت على والدها مسرعة، لكن عندما رأته جالساً على كرسي متحرك، أجهشت بالبكاء وارتمت في حضنه وبكت بحرقة، واساها والدها قائلا : "لا تبكي يا ابنتي الحنون، أنا بأفضل حال وما هي إلا مدة وجيزة بعدها سوف أقف على قدمي من جديد". نظرت إليها والدتها وأعمامها وأخوالها بعطف وواسوها وشجعوها.

في تلك الظهيرة، عادت الحياة والفرح والسرور الى بيتهم مرة أخرى، جلس االجميع معاً على مائدة مليئة بالحب والمودة ثم تناولوا وجبة غداء لذيذة .
كانت هناء إنسانة وفية، دائماً تدعو بالخير للآخرين و تعرب عن امتنانها لأصدقائها الأوفياء، لأنهم كانوا كالمعلم الجيد والمرشد لها، وكانوا سبباً في عدم حيودها عن المسار الصحيح في الحياة والغرق في بحر الاخطاء.

ماذا تعلمت من قصتي؟

ما رأيك بالقصة؟
قم بمسح هذا الرمز وأعطنا رأيك.

SEED Girls

seed foundation
Social Educational Economic Development

هناء تأخذ قرارها الحاسم

موفق عارف لعوني